جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

التناص القرآني
في شعر
أبي إسحاق الإلبيري

الدكتور

سليم ساعد بنيه السلمي

أستاذ الأدب والنقد المساعد ـ قسم اللغة العربيّة ـ الكلية الجامعية بأملج
جامعة تبوك ـ المملكة العربية السعودية

العدد الثالث والعشرون
للعام ١٤٤١هـ / ٢٠١٩م
الجزء السابع

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٩م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص

التناص القرآني في شعر أبي إسحاق الإلبيري

تهدف هذه الدراسة إلى بيان أثر النص القرآني في إثراء النص الشعري عند أبي إسحاق الألبيري الذي استمد من ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه وصوره أفكاره في أغراضه الشعريّة المختلفة، وخاصة في الزهد.

وتحاول هذه الدراسة إبراز قدرة الشاعر على استحضار(النص الغائب) وتوظيفه في نصه الشعري(النص الحاضر)، مما يكشف عن حسن الإشارة والتوظيف، بحيث بات جزءًا لا يتجزأ من نصه الشعري. وانصب هذا الاهتمام على الجانب التطبيقي، فتبين أنه قد استلهم النصوص القرآنيّة التي أغنت نصوصه بالدلالات والإيحاءات المختلفة، فقد اختزل في عبارات موجزة مضامين واسعة، ودلالات عميقة، فضلاً عن القيم الجماليّة والشعوريّة التي تمتعت بها.

الكلمات المفتاحية: التناص، التناص القرآني، استلهام، التناص الديني، الألبيري ، أبو إسحاق .

دكتور

سليم ساعد بنيه السلمي

أستاذ الأدب والنقد المساعد

قسم اللغة العربيّة ـ الكلية الجامعية بأملج

جامعة تبوك - المملكة العربية السعودية

Email: salsolami@ut.edu.sa

Abstract

Koranic intertextuality in the poetry of Abu Ishaq Elbery

This study aims to show the effect of Qur'anic texts on Abu Isaak AL-Albeeri's poetic works which are derived from the Qur'anic words, meaning and depiction and how these different works were influenced especially the ascetic poetry.

Thus, the study tries to reveal the ability of the poet to bring Qur'anic texts and how he has used them in his poetry. This application appears how good the poet in his referring and function was to make Qur'anic texts as part of the poetic text. We can notice this interest and ability in his practical works. The poet felt inspired to Qur'anic texts through multiple ways. His text s were very rich in various signs and inspiration. He briefed his expressions which have wide and deep meaning. Moreover, they have their own emotional and beautiful values.

Keywords: Intertextuality, Qur'anic Intertextuality, Inspiration, Religious Intertextuality, Alpine, Abu Ishaq.

Dr.
Saleem Saeed Bani Al – Salmi
Assistant Professor of Literature and Criticism
Department of Arabic Language - University College in Umluj University of Tabuk, Saudi Arabia
Email: salsolami@ut.edu.sa

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يُعد أبو إسحاق الإلبيري رافدًا من روافد الشعر العربي، وواحدًا من المبدعين الذين أفرزتهم العقليّة العربيّة؛ لما اجتمع له من ثقافة واسعة، وعمق تجربة، وبعد في الرؤية؛ فقد ساعدته هذه الثقافة الواسعة على أن يكون مبدعًا في قول الشعر، مماجعله يمتلك أساليب تعبيريّة، وطاقات لغويّة، وتقنيات إبداعيّة سمت بالدلالة، والتركيب معًا، حتى صار نتاجه الأدبي ملهمًا لكثير ممن جاءوا بعده، فضلاً عن توجه انظار الباحثين إلى دراسة شعره، والتغلغل فيه لغة، وأسلوبًا، وصورة، ناهيك عن الدلالات، والمعاني.

وأما دراسة شعر أبي إسحاق الإلبيري في ضوء مفهوم التناص القرآني، فإنها ربما تقدم لنا أدلة تؤكد غِنى نصوصه، وتكشف عن طاقات تعبيريّة وإيحاءات متنوعة، فضلاً عن ثقافة قرآنية واسعة كان يتحلى بها هذا المبدع. ولعلها تكشف عن منهجه في تناصه مع النصوص القرآنية ، وكيفة إنتاجه لنصه الشعري.

وتأتي أهمية هذه الدراسة في الكشف عن حقيقة التناص القرآني، والكشف عن مدى قدرته الإبداعية في استدعاء هذه الآيات القرآنية، وتوظيفها بشكل يتناسب ورؤاه الشعرية، ومن ثم الكشف عن جماليات هذا الإنتاج، ومعرفة الأثر الذي أداه هذا المبدع في تنشيط الحركة الشعرية في عصره. وتسعى هذه الدراسة ــ أيضًا ــ إلى توضيح دلالات التناص القرآني، التي استخدمها أبو إسحاق الألبيري في نصوصه، وذلك عن طريق الممارسة المباشرة العميقة في تحليل النصوص. والكشف عن الطاقات

الإبداعيّة وتصنيفها، للتعرف على مدى هذا التغلغل، والولوج إلى عالمه الخاص، الذي يطفح بالنصوص القرآنية.

ولعل هذه الدراسة، هي الدراسة الأولى، التي تضع التناص في مواجهةٍ مع نص أبي إسحاق الألبيري، بصورة صريحة؛ لإبراز جوانبه الظاهرة، والباطنة. وقراءته قراءة جديدة، على ضوء هذه النظرية الحديثة نظرية" التناص " مع القرآن الكريم.

مفهوم التناص في النقد:

ظل النص وما يتصل به محورًا لكثير من الدراسات النقديّة في العصر الحديث، ولاسيما الألسنيّة، والأسلوبيّة منها، فلم يعد النص في ضوء هذه الدراسات مجرد بنى لغوية تخضع لأنظمة صوتيّة، وصرفيّة، ونحويّة، ودلاليّة، فحَسْبُ، بل نظرت هذه الدراسات إلى النص على أنه جملة من المضامين الدينيّة، والثقافيّة، والاجتماعيّة، وأن الظروف المختلفة، التي تحيط بالنص هي التي صنعت هذا النص، وأخرجته إلى حيز الوجود، فالنص – في ظل التناص– يحمل مضامين متعددة استقاها المبدع من معطيات المعارف المختلفة في عصره، وبيئته، بل في عصور مضت، وذلك بفضل النصوص السابقة، التي تمثلت هذه المعطيات.

وتؤكد كرستيفا ما مضى آنفًا؛ إذ تجعل التناص سمة من السمات الأسلوبيّة للنص، بل تنظر إلى النص على أنه خلاصة لمجموعة من نصوص سابقة عليه استوحاها المؤلف، ثم أعاد صهرها من جديد (١)، فهي تذهب إلى أن أي نص هو لوحة فسيفسائية، واقتباسات من نصوص متباينة، فهو امتصاص وتحويل لنصوص أخرى (٢). ومن النقاد العرب الذين تناولوا نظرية التناص محمد مفتاح، ويعرفه بقوله:" التناص هو تعالق (الدخول في علاقة) نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة "(٣).

---

(١) انظر: كرستيفا، جوليا، علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر والتوزيع، المغرب، ط١، ١٩٩١م، ص:٧٨.

(٢) السابق، ص:٧٩.

(٣) مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري(استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٨٦م، ص: ٢١.

وقد أثار مفهوم التناص جدلاً كبيرًا بين النقاد، سواء أكان ذلك في قراءتهم للنص وتحليله، أم كان ذلك في نظرتهم إلى أثر المبدع، الذي لم يعد له من النص سوى حسن الصياغة، والسبك؛ ليخرجه في إطار جديد يمتاز به على النصوص التي أسهمت في بناء مضامينه، وأفكاره(١).

وإن النقاد الذين تبنوا نظرية التناص، أخذوا يحللون النص بإرجاع مكوناته إلى نصوص متعددة تقدمت عليه، إيمانا منهم بأن نظرية التناص تتشكل ضمن النصوص الأدبيّة، التي يستند إليها المبدع في نسج عمله الأدبيّ. وقد تباينت أشكال الاتجاهات النقديّة، التي تبنت نظرية التناص، فتعددت تعريفات التناص بتعدد هذه الأشكال، وتباينت دلالاته، ومعانيه، وصوره من منظور كل واحد من هذه الاتجاهات، وتباينت أيضًا المذاهب النقدية، التي تبنت نظرية التناص، ويظهر ذلك جليًا في النقد العربي المعاصر(٢). وتمثلت فترة النضج لهذا المفهوم في العقدين الأخيرين من القرن الماضي؛ إذ صدرت عدة أعمال، ودراسات نقديّة، تمحورت حول مفهوم التناص، وآلياته، ومن أبرز تلك الأعمال ما كتبه ريفاتير (إنتاجية النص) سنة ١٩٧٩م، و(التعالق النصيّ) سنة ١٩٧٩م، و(أثر التناص) سنة١٩٧٩م، و(سيميائية الشعر) سنة ١٩٨٢م. وقد كثر الحديث عن هذا المفهوم في الدراسات النقديّة العربيّة الحديثة.

---

(١) انظر: حسنين، نبيل، التناص، دراسة تطبيقية في شعر شعراء النقائض، دار كنوز المعرفة العلمية، عمان- الأردن، ط١، ٢٠١٠م، ص:٢٦.

(٢) انظر: حلبي، أحمد طعمة، أشكال التناص الشعري، شعر البياتي أنموذجًا، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، ع٤٣٠، شباط، ٢٠٠٧م، ص: ٧٥.

وقد تفاعلت نظرية التناص في كثير من المناهج النقديـــة الغربيّـــة، كالشعريّة الغربيّة، وما بعد البنيويّة، والسيميائيّة النصيّة؛ إذ أفـــادت هـــذه المناهج من نظرية التناص في معالجة النصوص، وتحليلها، بغيـــة الكشـــف عن المضامين التاريخيّة، والدينيّة، والثقافيّة، التـــي انطـــوت عليهـــا هـــذه النصوص، ومعرفة النصوص المتقدمة، التي أفاد منها النص المدروس(١).

وظهر التناص في عدد غير قليل من الدراسات النقديّة، التي اتخـــذت أشكالاً مختلفة كالكتب، والأبحاث، والرسائل الجامعيّة(٢). وقد ســـعت هـــذه الدراسات، على تباين أشكالها، إلى التنظير للتناص مـــن حيـــث مفهومُـــه، وآلياتُ تطبيقِه، وأشكالُه، والأسسُ التي ينبنـــي عليهـــا، وراح الدارســـون يقرؤون حول نظرية التناص في الكتابات الأجنبيّة، والعربيّـــة، مســـتلهمين دلالاتِ هذا المفهوم، وكيفيةَ تطبيقه، وتبلْوُرَ أسسه، وقواعده، عبر سلســـلة من المؤلفات المتعاقبة.

---

(١) انظر: حسين، يسرى خلف، التناص في شعر حميد سعيد، دار دجلة، عمان– الأردن، د.ط، ٢٠١١م، ص١٥.

(٢) انظر: البياتي، بدران، التناص في شعر العصر الأموي، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، ١٩٩٧م. ومراشدة، عبد الباسط، التناص في الشعر العربـــي الحـــديث، دراســـة تطبيقيـــة ونظرية، أطروحة دكتوراه مخطوطة، الجامعة الأدنيـــة، عمـــان ٢٠٠٠م. ونـــاهم، أحمـــد، التناص في شعر الرواد، أطروحة ماجستير مخطوطة، جامعة بغداد، ٢٠٠٤م. ووعـــد الله، ليديا، التناص في شعر عز الدين المناصرة، أطروحة ماجستير مخطوطة، جامعة قسنطيّنة، ٢٠٠٤م، وغيرها. سليمان، عبد المنعم، مظاهر التناص الديني فـــي شـــعر أحمـــد مطـــر، أطروحة ماجستير مخطوطة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٥م.

أهمية التناص في النص:

تكمن أهمية التناص في معرفة الأصول التي صدر عنها النص، أو معرفة المبدع صاحب الحقيقة الخالدة، أعني صاحب النص الأول الذي صدرت عنه النصوص الأخرى، ولا ينظر إلى النصوص الأدبية على أنها لا تعدو أن تكون قطعًا من الفسيفساء تتحاور فيما بينها(١). وقد كانت هذه القضية الغاية، التي وقف عندها النقاد القدامى عندما كانوا يبحثون قضايا السرقات الأدبية، وما شابهها.

وبالرغم من أنّ جلّ النقاد القدامى يردون الأخذ، والسرقة، والاستمداد، والاستعانة تحت قضية السرقات الأدبية؛ فإنهم لم ينظروا بعين السخط إلى هذه الإشكالية... بل عدّوها عملاً فنيّا لاغنى للأديب عنه شاعرًا كان أو ناثرًا، ولا سيما في ما يتصل بالمعاني المشتركة(٢).

وإذا كانت غاية القدامى رد النصوص إلى مصادرها، ومعرفة السبّاقين إلى أبكار المعاني؛ فإن رؤية النقاد المحدثين تتمحور حول استحضار النصوص القديمة قصد دراستها وسبر أغوارها، واستيعاب ما تنطوي عليه من دلالات لإبداع نص أدبي مركب: يبرز ما جاء في الأعمال

(١) انظر: سلاّم، سعيد، التناص التراثي، الرواية الجزائرية أنموذجًا، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط١، ٢٠١٠م، ص: ١٣٧.

(٢) انظر: طبانة، بدوي، السرقات الأدبية:دراسة في ابتكار الأعمال الادبية وتقليدها، دار الثقافة ،بيروت، ط٣، ١٩٧٤م، ص٦٥. والأعشير، عبد الله آيت، حسن الأخذ والتناص بين القديم والحديث، دراسة تطبيقية عن أشكال التفاعلات النصية في رواية شجيرة حناء وقمر، مجلة عالم الفكر، العدد ٣ ، المجلد ٣١، يناير، ٢٠٠٣م، ص: ٢٢٢.

السابقة مبيناً قيمتها وأهميتها. ولذلك فكل عمل أدبي خارج التناص يكون غير قابل للإدراك كما يرى (لوران جيني)(١).

وتبدو أهمية التناص بصورة رئيسة في تأكيد(عدم استقلالية النص)، التي استند إليها البنيويون في دراسة النصوص الأدبيّة، وتحليلها؛ لأن قوة العمل الأدبية هي حصيلة للمعاني، والقيم، التي تحملها النصوص السابقة التي تأثر بها هذا العمل وأخرجته إلى حيز الوجود شكلاً ومضموناً. ثم إننا نستطيع أن نفهم النصوص الغائبة ونحللها إذا تمكنّا من فهم النص الحاضر وتحديد مواطن التناص فيه وردها إلى أصولها، ومصادرها(٢). فضلاً عن أن تطبيق نظرية التناص يعيننا على تعمق النص الحاضر، ومعرفة كيفية تفاعل النصوص الغائبة في نسيجه النصيّ(٣).

إن التناص يساعد الناقد، والمبدع على فهم إنتاجية النصوص، وينأى بنا عن المصطلحات النقديّة التقليديّة، وعلى رأسها السرقات الأدبيّة، التي تنفي عدالة النقد، وموضوعيته(٤)، وهو يشحذ همم الأدباء لتصوير الحياة اليوميّة، والتعايش مع حياة الناس، التي تصورها النصوص المرجعية، ويهيّئ الأدباء، والمبدعين، ويتيح لهم القدرة على التحليق في عالم الأدب، وهو في الوقت ذاته يغني الأدب ويوسع عوالمه، وفضاءاته المختلفة، فالنصوص المرجعيّة، التي يتناص معها النص الحاضر تحمل أفكارًا وقيمًا

(١) انظر: سلاّم، سعيد، التناص التراثي، الرواية الجزائرية أنموذجًا، ص: ١٣٧.
(٢) انظر: حافظ، صبري، التناص وإشاريات العمل الأدبي، مجلة عيون المقالات، المغرب، ع٢، ١٩٨٦م، ص: ٩٣.
(٣) انظر: سلاّم، سعيد، التناص التراثي، الرواية الجزائرية أنموذجًا، ص: ١٣٧.
(٤) المرجع نفسه، ص: ١٣٨.

تاريخيّة، وثقافيّة، وجماليّة كانت سائدة في العصر الذي ولدت فيه هاتيك النصوص، فتشرق صورة هذه القيم من جديد في النص الحاضر، وتجعل المرء على اتصال مع الإرث الحضاري للإنسانية في عصورها الغابرة، ثم إن عملية التناص تكشف لنا كثيرًا من المفاهيم الخاطئة سواء أكانت مفاهيم نقدية جهد النقاد على تصحيحها، أو حتى مفاهيم اجتماعيّة، أو دينيّة، أو علميّة، أو غيرها، فالتناص عملية إثرائية للنص الحاضر أسلوبًا، ومضمونًا(١).

وهذا يعطي التناص أهمية عظيمة، مؤداها أن النصوص الحاضرة في تناصها مع النصوص المرجعيّة، إما أن تحاورها، وإما أن تدحضها، وإما أن تصادرها بالكلية، وإما أن تعدلها وفق المعطيات الحاضرة، وربما ترفضها، أو تشوهها، أو تسخر منها. وغالبًا ما يكون التعالق النصي بين النص الحاضر، والنص الغائب، بطريقة التحقق، أو الخرق، أوالتحويل(٢).

ويرى سلام أن ثمة دعامتين رئيستين يستند إليهما الإرث الحضاري الإنساني منذ القدم حتى يومنا هذا، هما:

– التواتر أو التكرار: وهو أن النص الظاهر، تعبر عنه البنية المادية الملفوظة للمفردات، التي تقع ضمن دائرة اللغة التداولية. ويتمثل في المدونات ومتون العلوم الإنسانية والنماذج التراثية القديمة، التي يتكرر ورودها في النصوص اللاحقة الشارحة لها، أو المعلقة عليها؛ لأنها تتصل

(١) المرجع نفسه، ص: ١٣٨.

(٢) المرجع نفسه، ص: ١٣٨.

بتاريخ الأمة، وعقيدتها، وثقافتها، وسيرة أعلامها من شخصيات دينية، وتاريخية؛ ولأن لها قوة إيحائية، وقدرة على التأثير في الأجيال(١).

– التوالد والتناسل: وهو أن الأعمال الأدبيّة، والكتابات الفنيّة نواةٌ حيّة تتناسل منها الآثار الأدبية اللاحقة، وإن كانت هذه النصوص اللاحقة كثيرًا ما تتمرد على البناء الفني لهاتيك الأعمال، وعلى بنيتها اللغويّة، والأسلوبيّة، ويخرجها المبدع في قالب جديد، بعد عمليات التحوير، والتعديل عليها، ومثال ذلك الحكايات الشعبية، التي أصبحت نواةً للقصة المعاصرة، وإن كانت القصة المعاصرة تمتلك مقوماتٍ فنيةً، لم تكن لتمتلكها الحكاية الشعبية، ومثال آخر تأويل الأحلام عند(فرويد)(٢)، إذ إن النص الحاضر هو مجال القضايا المكبوتة، والمخزنة في اللاوعي الذي توجد فيه الدلائل، فيوظفها استنادًا إلى الدوافع، التي تستدعيها؛ لذا فإنّ النص باعتباره موضوع البنية العميقة(٣)، يتشكل من هذه المكبوتات، فتفسير الأحلام" بما فيه من آليات الحلم كالخلط الكلامي، والخلط المكاني، والتفصيلات الثانوية... هي على ما يظهر الآليات الأساسية في الخلق الأدبي، كما تشمل مبدأ الحلم الأساسي، وهو تحقيق الرغبة التي يمكن تطبيقها على الفن"(٤).

(١) انظر: سلاّم، سعيد، التناص التراثي، الرواية الجزائرية أنموذجًا، ص: ١٣٩.
(٢) انظر: المرتجي، أنور، سيميائية النص الأدبي، دار أضوء للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٧م، ص: ٥٥.
(٣) انظر: سلاّم، سعيد، التناص التراثي، الرواية الجزائرية أنموذجًا، ص: ١٣٩.
(٤) هايمن، ستانلي، النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ترجمة: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط١، ١٩٥٨م، ج١، ص:٢٦١.

ومن زاوية أخرى فإن النصوص الجديدة تعمد إلى الموروثات الأدبية، أو القوالب الجاهزة،(Lec clichés)- تلك التي تعجّ بها الآثار الأدبية التقليدية- فتُحدِث فيها تحويرات شتّى، تتمثل في الخرق لهذه الموروثات، أو مخالفتها وانتقادها، أو إزاحتها(Ecart)، ثم تُستبدَل بها إنتاجات أدبية جديدة حيكت على منوالها، وبهذا التفاعل يتمّ إنتاج نصوص أدبية أخرى مضاعفة(Doubles). وينجم عن هذه العمليّة التفاعليّة الجديدة إنتاج أشكال أدبية أخرى(١).

وهكذا فإنّ كل نص يمتح من النصوص المتقدمة عليه سعيًا إلى بلوغ شروط الكمال، ومجانبة الانتقادات، والمثالب التي وسم بها النص المركزي، وهذا التفاعل مع الآثار الأدبية المهاجَر إليها، من شأنه أن يتيح آفاقًا واسعة للتعديل سواء أكان هذا التعديل إضافةً، أو انتقاصًا، وتحويلاً، أو انتقادًا، ومعارضة(٢).

ويخلص الباحث بعد هذا العرض المقتضب إلى أن التناص ظاهرة وافدة إلى أدبنا العربيّ وجديدة عليه- مصطلحًا ومفهومًا-، ومهما قيل حول علاقة هذا المفهوم ببعض المفاهيم النقدية، والبلاغية العربية في تراثنا الأدبيّ، كالاقتباس، والتضمين، وغيرها؛ فإنّ ثمة بونًا شاسعًا بين التناص ــ بوصفه نظرية ــ ومصطلحات النقد، والبلاغة العربية؛ فالتناص رؤية نقديّة عميقة، لها مفهومها، وآلياتها، وأشكالها، وغاياتها، إنه شبكة من العلاقات المعقدة، التي تربط النص بنصوص شتى، نسجت في أزمان متباينة بعضها حديث العهد، وبعضها ضارب في القدم.

(١) انظر: سلاّم، سعيد، التناص التراثي، الرواية الجزائرية أنموذجًا، ص: ١٤٠.

(٢) انظر: سلاّم، سعيد، التناص التراثي، الرواية الجزائرية أنموذجًا، ص: ١٤٠.

وبالرغم من أنّ حداثة ظاهرة التناص، وغرابتها عن تراثنا النقديّ، والأدبيّ، فإنّ النقاد العرب درسوا هذه الظاهرة في مصادرها، وتوسعوا في مفهومها، ووظفوها توظيفًا ناجحًا في كثير من الإبداعات الشعرية، واستعانوا بها في الكشف عن كثير من المضامين الدلاليّة، والقيم الجماليّة، التي انطوت عليها الأعمال الأدبيّة المتقدمة. وهي ظاهرة حتميّة تفرض نفسها على العمل الأدبي، وهي أيضًا قدر المبدع الذي لا مندوحة عنه.

تجليات التناص القرآني في شعر أبي إسحاق الإلبيري:

للقرآن الكريم مكانة عظيمة في نفوس الشعراء، لما في آياته من طاقات ربانية، صيغت بأسلوب فنيّ غاية في الدقة، والإعجاز، فضلاً عن أنه يحمل شرعًا، ومنهاجًا، ومضامين فكرية متعددة. ويمثل اللغة العربيّة في أسمى صورها، وأساليبها، وقيمها الجماليّة، والدلاليّة، ولهذا الكتاب الكريم قدرة تأثيرية تأسر النفوس، وتستولي على المشاعر(١).

وقد توقف أهل النظم عند بيانه الساحر، وأفادوا من كل ما جاء به؛ صورًا وأفكارًا، وألفاظًا، وأساليب، كل يحاول محاكاة أسلوبه، وألفاظه، وتراكيبه؛ ليتسنم ذروة البلاغة، والفصاحة، ويربو بنصه عن العقم إلى الإنتاجية، وغنى التجربة(٢).

فتبصّر أبو إسحاق بالقرآن الكريم، وتأثر بطاقاته، ومعانيه، فضلاً عن أساليبه، ومبانيه، وحفظ منه الكثير الطيب، فتمثل بعض آياته في شعره لفظًا، ومعنى، وأسلوبًا، واستوحى كثيرًا من قصصه، وعبره، وأفاد من طاقاته التصويرية، وتراكيبه الفنيّة.

---

(١) انظر: إبراهيم، محمد إسماعيل، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٩٦٩م، ص: ١٦.

(٢) انظر: عطا، أحمد، التناص القرآني في شعر جمال الدين بن نباته المصري، بحث مقدم للمؤتمر الرابع لكلية الألسن، جامعة المنيا، إبريل، ٢٠٠٧م، ص: ٣.

ويجد المتلقي في شعر أبي إسحاق الإلبيري كثيرًا من مفردات القرآن الكريم، وتراكيبه، ومعانيه، وقصصه، ولا سيما بعد أن تقدم به العمر، وأحكمته التجارب. يقول (١):

وألا قُلْ لصنهاجة أجمعين ... بدور الندى وأُسد العَرينْ

لقد زلّ سيّدكم زلةً ... تقرّ بها أعين الشامتين

تخيّر كاتبهُ كافرًا ... ولو شاء كانَ مِن المسلمين

فعزّ اليهودُ به وانتخوا ... وتاهوا وكانوا من الأرذلين

في هذا المشهد يخاطب باديس بن حبوس عندما أتخذ وزيرا من اليهود، مبينًا الصورة الحقيقية لليهود وغدرهم وعدم مصداقيتهم، وأنه لا مستند لهم فيما ادعوه سوى افترائهم واختلاقهم، فاستحضر الشاعر أبياته السابقة من قوله تعالى:" يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما غنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر"(٢).

ويقول(٣):

فهلا افتدى فيهمُ بالألى ... من القادةِ الخيرةِ المتقين

وانزلهم حيث يستأهلون ... وردهُم أسفل السافلين

---

(١) الإلبيري، أبي إسحاق، الديوان، تحقيق: محمد رضوان الداية، مطبعة الرسالة، بيروت، ١٩٧٦م، ص: ٩٦ ـــ ١٠٠.

(٢) سورة آل عمران: ١١٨.

(٣) الديوان، ص: ٩٦.

استوحى الشاعر جلّ نصوصه من جمال القرآن الكريم، فكان يتجاور في شعره رسم حاله الداخلي النفسي ونزعات الضمير إلى رسم الواقع، فمن الواضح أن الشاعر استلهم دلالته من قوله تعالى:" ثم رددناهُ أسفل سافلينَ"(١). ومن المؤكد أن استحضار مثل هذه الإشارات القرآنيّة فيها تحقيق للبعد المعرفي للتناص حين ينتقل المتلقي إلى أجواء الآيات القرآنيّة لتبدو مرآة تنعكس على سطحها صورة الواقع بطريقة إيحائية مباشرة من خلال المشهد الشعري(٢).

وقد ظهرت صورتهم السلبية بالصفات التي عرفوا بها في القرآن الكريم من غدر وفسق وحقد وخيانة للعهود والمواثيق في قوله(٣):

وكيف استنامت إلى فاسقٍ ... وقارنتَهُ وهو بِئْسَ القَرينْ
فلا تتخذ منهم خادمًا ... وذرهم إلى لعنة اللاعنين
فقد ضجَّت الأرضُ من فسقهم ... وكادت تميدُ بنا أجمعين
تأمل بعينيك أقطارَها ... تجدهم كلابًا بها خاسئين

استوحى الشاعر جل نصوصه من جمال القرآن الكريم وألفاظه التي ذكرها (فاسق / لعنة اللاعنين / فسقهم / كلابًا / خاسئين). يشير الشاعر في النص السابق إلى قوله تعالى:" والله لا يهدي القوم الفاسقين"(٤). وقوله

(١) سورة التين: ٥.
(٢) شبانه، ناصر جابر، التناص القرآني في الشعر العماني الحديث، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، مجلد٢١ع٤، ٢٠٠٧م، ص : ١٠٩.
(٣) الديوان، ص: ٩٦ ـــ ١٠٠.
(٤) سورة التوبة: ٨٠.

تعالى:" أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون"(١). وقوله تعالى:" وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكُم وأنهاراً وسُبُلا"(٢). وقوله تعالى:" فقُلنا لهم كونوا قردةً وخاسئينَ"(٣). إن الشاعر يصوغ الآيات القرآنيّة السابقة وما يتصل بها من دلالات على وفق رؤياه الذاتية وما ينسجم مع حالته النفسية " ومن الملاحظ أن التأثر القوي بالظاهرة الأسلوبيّة القرآنيّة يكثر ويشيع في شعر الزهد وشعر النصح والوعظ والإرشاد وشعر المديح أو قل في ذلك الشعر القريب من الدين، والقريب من الجدّ الهادف إلى التربية والتعليم وإلى الترغيب في العدل والاستقامة والفضيلة إتكاء على النصوص القرآنية وإعدابًا بإساليب القرآن الكريم في عرضها ومخاطبة الناس، ولهذا كان للخطاب القرآني هذا التأثير القوي في شعر الشعراء الأندلسيين "(٤).

يقول(٥):

أبا بكرٍ دَعوتُكَ لو أجبتا ... إلى ما فيهِ خَظُّكَ إن عَقَلْتا

إلى علمٍ تكونُ بهِ إمامًا ... مُطاعًا إن نهيتَ وإن أمرتا

وتَخْلو ما بعينكَ من عَشاها ... وتهديكَ السّبيلَ إذا ضَلَلْتا

ولم يشغلكَ عنه هوى مطاعٌ ... ولا دُنيا بزخرُفها فُتِنْتا

وإن أوتيتَ فيه طويلَ باعٍ ... وقال الناسُ إنَّكَ قد سَبَقْتا

(١) سورة البقرة: ١٥٩.
(٢) سورة النحل: ١٥.
(٣) سورة البقرة: ٦٥.
(٤) العاني، محمد شهاب، أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٢م، ص: ٢١٤.
(٥) الديوان، ص: ٢٠ – ٢٢.

فـــلا تـــأمن ســـؤال اللهِ عنـــهُ بتـــوبيخ عَلَمْـــتَ فهـــل عَمِلتـــا؟
فـــرأسُ العِلـــم تقـــوى الله حقًـــا ولـــيس بـــأن يُقـــال: لقـــد رأســـتا
وضـــافي ثوبـــك الإحســـانُ لا أنْ تُـــرى ثـــوبَ الإســـاءةِ قـــد لبســـتا
إذا مـــا لم يُفـــدِكَ العلـــمُ خـــيرًا فخـــيرٌ منـــه أنْ لـــو قـــد جَهِلتـــا
وإن ألقـــاكَ فَهْمُـــكَ في مهـــاوٍ فليتـــكَ ثـــم ليتـــكَ مـــا فهمتـــا
ســـتجني مـــن ثمـــار العجـــز جهـــلاً وتصـــغرُ في العيـــونِ إذا كَبِرْتـــا
وتُفقَـــدُ إن جهلـــتَ وأنـــتَ بـــاقٍ وتوجـــدُ إن عَلِمـــتَ وقـــد فُقِـــدتا

يضع الشاعر الدعوة إلى العلم في مرتبة من ينال حظًا كبيـرا فـي الهداية وسلوك سبل الخير، ولكن بشرط أن يعمل به؛ لأن رأس العلـم هـو تقوى الله، لا طلب الدنيا ونيل المناصب، فالعلم بدون عمل الخير خير مـن الجهل؛ لأن العليم له حسابه أمام الله، فهو النور الذي يهـدي حاملـه إلـى طريق الجنة في الآخرة ، فضلا عن مكانته العالية في الدنيا، وهذه المعـاني كلها تظهر تأثر الشاعر بما جاء في القرآن الكريم " فهذه الأبيات تراكمـت فيها إضاءات قرآنية نتيجة العوامل الداخلية التي نشأ الشاعر عليها أو تحت ظروفها الموضوعية مما يكشف لنا بنية هذا النص الخصوصـية وسـياقاته وارتباطاته وتواصله بالقرآن الكريم"(١).

(١) حياة، معاش، التناص القرآني في تائية ابن الخلوف القسنطيني دراسة فنية، مجلة كليـة الآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة محمد خيضر، بسكرةع٦، ٢٠١٠م، ص:٧.

فقد حرص الشاعر في أغلب شعره على حث المسلمين على فعل الخيرات، بمختلف أنواعها؛ لأنها هي التي تقربهم إلى الله، وترفع منزلتهم عنده، وتنجيهم من عذابه، يقول(١):

ولو وافيتَ ربك دون ذنبٍ ... وناقشك الحساب إذًا هَلكتَا

ولم يظلمكَ في عملٍ ولكن ... عسيرٌ أن تقومَ بما حَملتَا

ولو قد جئتَ يوم الفصلِ فردًا ... وأبصرتَ المنازلَ فيه شَتَّى

لأَعظمتَ النَّدامةَ فيه لهفًا ... على ما في حياتكَ قد أضَعْتَا

(وافيت ربك دون ذنب/ وناقشك الحساب/ إذا هلكتا/ لم يظلمك في عمل/ يوم الفصل فردا/ لأعظمت الندامة فيه لهفا/على ما في حياتك قد أضعتا) هذه المعاني والدلالات الشعرية التي أشار إليها الشاعر وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى :" فسوف يحاسب حسابا يسيرا"(٢). وقوله تعالى:" إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا. لقد أحصاهم وعدّهم عدا. وكُلهم آتيه يوم القيامة فردا"(٣). وقوله تعالى:" واتبعوا أحسن ما أُنزل إليكم من ربكم من قبل أنْ يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون. أنْ تقول نفسٌ ياحسرتا على ما فرطتُ في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين"(٤).

---

(١) الديوان، ص: ٩٢ ـــ ٩٣.
(٢) سورة الأنفال: ٨.
(٣) سورة مريم: ٩٣ ــ ٩٥.
(٤) سورة الزمر: ٥٥ ــ ٥٦.

ويقول في مشهد آخر (١):

وخـفْ أبنـاء جنسـك واخـش مـنهم كمـا تخشـى الضّـراغم والسـبنتى

وخـــالطهم وزايلـــهم حـــذارًا وكـــن كالســـامري إذا لمســـتا

وإن جهلـوا عليـك فقُـل سـلامًا لعلـكَ سـوف تسـلم إنْ فعَلتَـا

استثمر الشاعر ما ورد في القرآن الكريم:" قال فاذهب فإن لك فـي الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى إلهـك الـذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنهُ نسفا "(٢). وقوله تعالى:" وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سَلاما"(٣).

ينبه الشاعر المتلقي على ما ورد في القرآن الكريم من صفة المـال في بعض الآيات القرآنيّة الكريمة التي ورد فيها ذكر المال، في قوله(٤):

ولا تحفِـلْ بمالِـكَ والـهُ عنـهُ فلـيسَ المـالُ إلاّ مـا عَلِمتـا

قال الله تعالى :" واعلموا أنما أموالكم واولادكـم فتنـة"(٥). وقولـه تعالى:" وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى"(٦). وقوله تعالى:" يا أيها الذين أمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله"(٧).

---

(١) الديوان، ص: ٩٢ ـــ ٩٣.
(٢) سورة طه: ٩٧.
(٣) سورة الفرقان: ٦٣.
(٤) الديوان، ص: ٢١.
(٥) سورة الأنفال: ٨.
(٦) سورة سبأ، ص: ٣٤.
(٧) سورة المنافقون: ٦٣.

وترى الشاعر يحث الناس على الالتجاء إلى الله والإكثار من ذكره، بكل ما يستطيعون إخلاصًا وحبًا وطاعةً، فيقول(١):

وسل من ربِّكَ التوفيقَ فيها وأخْلِصْ في السؤالِ إذا سألْتا
ونادِ إذا سَجَدْتَ له اعترافًا بما ناداهُ ذو النُّونِ بنُ مَتّى
ولازِم بابَهُ قَرْعًا عَساهُ سيَفتَحُ بابَهُ لكَ إنْ قَرَعْتا
وأكثِر ذكرَهُ في الأرضِ دأبًا لتُذْكر في السماء إذا ذَكرْتَا

ففي الأبيات السابقة عانق الشاعر آيات قرآنيّة، فانعكس ذلك على الجانب اللغوي له فتكون معجما من الألفاظ والمفردات القرآنيّة تتمثل في قوله تعالى:" وذا النون إذ ذهبَ مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك أني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين"(٢). وقوله تعالى:" فاذكروني أذكركم وأشكروا لي ولا تكفرون"(٣).

ويقول (٤):

ثقلت من الذنوب ولستَ تخشى لجهلكَ أن تخفَّ إذا وُزِنتا

استوحى الشاعر الدلالة القرآنية للصورة الحقيقية يوم الحساب بمن ثقلت موازينه بالحسنات والأعمال الصالحات أو من خفت موازينه بسبب

(١) الديوان، ص: ٢١.
(٢) سورة الأنبياء: ٨٧ ــ ٨٨.
(٣) سورة البقرة: ١٥٢.
(٤) الديوان، ص: ٤٢.

كفره وضلاله وعدم إيمانه، فالصورة في النص السابق مستوحاه من قوله تعالى:" فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمّهُ هاوية"(١). فإن مثل هذه الإشارات لسياقات قرآنية جاهزة يتم توظيفها أو تحويرها بشكل طفيف في السياق الشعري للتعبير بالدلالة القرآنيّة داخل تشكيل النص الشعري(٢).

ويقول في مشهد مماثل في رثاء زوجته (٣):

وأنا لعمرُكَ مكرمٌ في جيرتي ومُعظمٌ ومُبَجلٌ بعشائري

وغداً بميدان السّباقِ سنلتقي فيُرى الثّقيلُ من الخفيفِ الضّامرِ

بهذا استطاع الشاعر أن يبني علاقة بين النصين والتصرف بالآية القرآنيّة داخل نصه بتشكيل لغوي جديد، فالدلالة ظلت على حالها والفضاء الديني هو ذاته، بل جاء التوظيف مؤكدا للدلالة ليبدو تسليط الضوء على النص القرآني واضح من الإحالة إلى واقع النص.

ويتعايش الشاعر مع النصوص القرآنية ويتقاطع معها ليأخذ منها معاني ودلالات مختلفة لما يلائم حالته الشعورية، وتجربته الشعرية، فيقول في رثائه تجاه مدينته ألبيره بعد أن دمرت (٤):

وإن قد قَسَتْ أكبادكم وقلوبُكم وما فيكُم داعٍ إلى اللهِ راغِبُ

(١) سورة القارعة: ٦ ــ ٩.

(٢) شبانه، ناصر جابر، التناص القرآني في الشعر العماني الحديث، ص: ١١٠.

(٣) الديوان، ص: ٨١.

(٤) الديوان، ص: ٧٦.

ويشير الشاعر في البيت السابق مستخدما دلالة المعنى من قوله تعالى:" ولا يكونوا كالذين أُوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون "(١).

وكذلك قوله (٢):

ويضحك مِنَّا ومِن ديننا فإنَّا إلى ربِّنا راجعون

ومن الملاحظ أن النص الشعري السابق تبنى فيه الشاعر المعنى الحقيقي لدلالة النص، ويجعلها مؤكدة للدلالة القرآنيّة في قوله تعالى:" الذين إذا اصابتْهُم مُصيبةٌ قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعونَ"(٣).

ويقول (٤):

وراقب إلهك في حزبهِ فحزب الإلهِ هم الغالبون

إن الشاعر في نصه الزهدي يتجه إلى النص القرآني حتى ليبدو أنه يطوع نصه وزنا وقافية ودلالة لينسجم والآية القرآنيّة، يحمل النص الشعري المتمثل النصيب الأكبر من التناص في قوله تعالى:" ومَنْ يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبونَ"(٥).

---

(١) سورة الحديد: ١٦.
(٢) الديوان، ص: ٧٦.
(٣) سورة البقرة: ١٦٥.
(٤) الديوان، ص: ٧٦.
(٥) سورة المائدة: ٥٦.

وتحدث الشاعر عن النار، وما تحتويه من أهوال عظيمة لبني البشر من أصحاب النار، وقد ضمن بعض نصوصه الشعريّة التي ذكر فيها النار بعض الدلالات القرآنيّة، فيقول(١):

ويلٌ لأهل النار في النارِ ماذا يُقاسون مِنَ النارِ

تنقد من غيظ فتغلي بهم كمرجل يغلي على النارِ

فمن الواضح أن النص الشعري جاء متواشجا ومتماهيًا مع النسيج القرآني في قوله تعالى:" فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق"(٢). وقوله تعالى:" تكاد تميز من الغيظ"(٣). إن ما يلمحه المتلقي في مثل هذه البناءات هو جمل مفتاحية تستجر فضاء قرانيًا بأكمله، لا يكتفي فيها المتلقي بإزائها بالربط بين النصين بمقدار ما يشعل طرائق المخيلة ليغدو قريبا من معاينة أحداث الآيات القرآنية بما يخدم رؤية النص الجديد(٤).

ويتحدث الشاعر عن العذاب ويقدم للمتلقين عدد من النصائح مستلهما الدلالات القرآنية الدالة على ذلك، فيقول(٥):

ولم أرد ماءً ولا ساغَ لي إذا ذكرتُ المُهلَ في النارِ

ولم أجد لذة طعم إذا فكّرتُ في الزّقومِ في النارِ

(١) الديوان، ص: ٩٠ ــ ٩٣.
(٢) سورة هود: ١٠٦.
(٣) سورة الملك: ٨.
(٤) شبانه، ناصر جابر، التناص القرآني في الشعر العماني الحديث، ص: ١١٠.
(٥) الديوان، ص: ٩٠.

أيُّ التـــــــــذاذٍ بنعـــــــــيم إذا أدّى إلى الشـــــقوةِ في النـــــارِ
أم أي خـــــــيرٍ في ســـــــرور إذا أعقـــب طـــولَ الحُـــزن في النـــارِ

ويقول (١):

فأنـــــت مـــــولايَ ولا ربّ لـــــي غـــيرك، اعـــتقني مـــن النـــارِ
ولم تـــــزل تَسْـــــمعُني قـــائلاً أعـــــوذُ بـــــاللهِ مِـــــنَ النـــــارِ

فالشاعر يبدع لحظات إيمانيّة مضيئة بصفاء القرآن الكريم، فلا يجد سوى الملجأ القرآني ليأخذ منه عبارات وألفاظ تتشكل ودلالات تحاورت مـــع الدلالات التي قبلها، ولكنه صهرها في ذاته؛ لأن القرآن الكريم مصدر إلهام للذات الشاعرة، تتفيأ ظلال لغته ، وتتأمل في حضرة الكلام، الإلهي، وتنهـــل من ينابيعه المختلفة، وتتزود ما شاء الله لها من إعجازه، وتنوع أســـاليبه، واختلاف من إعجازه، ووفرة مخاطباته، وتستمد الذات المبدعة شـــاعريتها البشرية من شاعرية النص القرآني(٢).

ويقول في مشهد آخر (٣):

يهـــوى بهـــا الأشـــقى علـــى رأســـهِ فالويـــلُ للأشـــقى مِـــنَ النـــارِ

ويقول الشاعر في هذا المشهد متعالقًا مع بالآية القرآنيّة " فأنذرهم نارًا تلظّى لا يصلاها إلا الأشقى"(٤).وجاء التناص مشـــابها لمـــا ورد فـــي

(١) الديوان، ص: ٩٣.
(٢) حياة، معاش، التناص القرآني في تائية ابن الخلوف القسنطيني دراسة فنيّة، ص:٣.
(٣) الديوان، ص: ٩٠ ــ ٩٣.
(٤) سورة الليل: ١٤ ــ ١٥.

القرآن تركيبًا ومضمونًا وقد جاء منسجما مع السياق اللفظي، وكأنه جزء من بنيته التركيبية.

ويقول في مشهد آخر (١):

يا أيُّها الناس خذوا حذركم وحصّنوا الجنّة للنارِ

يشير الشاعر إلى قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا خُذوا حذركم فانفروا ثُباتٍ أو انفروا جميعًا "(٢). وقوله تعالى:" يا أيها الذين آمنوا قُوا أنفسكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة"(٣).

استحضر الشاعر في نصه السابق هذه الآية القرآنيّة:" إنّ شجرة الزّقوم طعامُ الأثيم كالمُهل يغلي في البطون كغلي الحَميم"(٤). ففي مثل هذا الضرب من التناص استحضار لمعنى الآية القرآنيّة ولفظها التي وردت القرآن الكريم، فالشاعر بإزاء هذا التوظيف يشغل مخيلته بأجواء تلك الأيات التي تستحضر مدى العذاب الأليم للكفار وينقلها لنا في قالب شعري يلفت انتباه المتلقي(٥).

ويقول (٦):

فإنها راصدةٌ أهلها تدعهم دعّاً إلى النارِ

(١) الديوان، ص: ٩٠ ــ ٩٣.
(٢) سورة النساء : ٧١.
(٣) سورة التحريم : ٦.
(٤) سورة الدخان: ٤٣ ــ ٤٦.
(٥) شبانه، ناصر جابر، التناص القرآني في الشعر العماني الحديث، ص: ١١٠.
(٦) الديوان، ص: ٩٠ ــ ٩٣.

وبالنظر النص الشعري السابق، يتبدى منه الحضور المشرق للخطاب القرآني، واستلهام الشاعر ما يناسب رؤيته؛ إذ نراه يتناص مع قوله تعالى:" يوم يُدعونَ إلى نار جهنم دعّا "(١).حيث يشير النص القرآني إلى شدة العذاب الأليم من الله سبحانه وتعالى، لمن فارق شريعته، وخالف أمره. وهكذا يأتي نص أبي إسحاق متوافقًا مع النص القرآني، مبينًا للمتلقي العذاب بالنار يوم القيامة.

إنها نشوة من الزهد والنصح والدلالة على الخير يوضحها الشاعر للمتلقي، فمن الواضح أن مثل هذه الإشارات القرآنيّة تنبىء بنشاط ثقافي في ذاكرة الشاعر تنعكس على نصه، ووصوله للمعنى المقصود، يقول(٢):

ويلٌ لأهلِ النارِ في النارِ ... ماذا يقاسونَ من النّارِ

تنقدُ من غيظٍ فتغلي بهم ... كمرجلٍ يغلي على النارِ

فيستغيثون لكي يُعتَبوا ... ألا لعًا من عَثْرةِ النارِ

وكلهُم مترفٌ نادمٌ ... لو تُقبلُ التوبةُ في النارِ

يهوي بها الأشقى على رأسهِ ... فالويلُ للأشقى من النارِ

إننا نقف أما معاني هذه الألفاظ التي استقاها من القرآن الكريم (ويل لأهل النار في النار/ يقاسون من النار / فيستغيثون/ عثرة النار/ كلهم مترف نادم/ يهي بها الأشقى على رأسه/ فالويل للأشقى من النار) والتي تكون لوحة للويل والوعيد لكل من خالف الصواب والصراط المستقيم.

---

(١) سورة الطور: ١٣.

(٢) الديوان، ص: ٩٠_ ٩٣.

وثمة إشارة تناصية خفية حيث نرى الشاعر يحث الناس على الالتجاء إلى الله بكل ما يستطعيونه من قوه، ويستعمل الدلالة القرآنيّة التي ودرت في هذا المعنى في قوله(١):

وإلا أكُنْ أهلا لفضل ورحمةٍ فربي أهلُ الفضل والرّحماتِ

يشير إلى قوله تعالى:" ولولا فَضْلُ الله عليكم ورحمتُهُ وأنّ الله رؤوف رحيم"(٢). وإلى قوله تعالى:" ذلك فضل الله يُؤتيهِ من يشاءُ والله ذو الفضل العظيم "(٣). وواضح أن الشاعر يستلهم النص القرآني امتصاصًا أو تحويلاً، حتى يتماهى في نصه، وأن:" المادة المقتبسة تنفصل عن سياقها لتقيم سياقات جديدة متعددة، وتتخطى حواجز النصوص جاذبة معها تاريخها، وتاريخ سياقاتها المتعاقبة "(٤).

ويقول(٥):

يا أيُّها المُغترُبُ باللهِ فرّ مِنَ اللهِ إلى اللهِ

فنجد في هذه الأبيات أنه تحقق للشاعر ما أراد، حيث استطاع بعبارة واحدة، أن يحيل إلى مشد قرآني متكامل ولكن في ذهنية متلق يشاركه ثقافته وتجربته، فكمات الزهد ارتشفها من عدة آيات قرآنية لها دلالتها.

---

(١) الديوان، ص: ٥٧.

(٢) سورة النور: ٢٠.

(٣) سورة الحديد: ٢١.

(٤) انظر: المغيض، تركي، التناص في نماذج من الشعر المغربي، مجلة أبحاث اليرموك، الأردن، مجلد ٢٠، ع ١، ٢٠٠٢م، ص: ٩٦.

(٥) الديوان، ص: ٦٥.

ويقول(١):

تـــاللهِ مـــا في الأرض موضـــعُ راحـــةٍ إلا وقـــد نُصِـــبَتْ عليـــهِ شِـــباكي

قوله تعالى:" قالوا تالله تفتؤا تَذكُر يوسُف"(٢). وقوله تعالى:" وتاللهِ لأكيدَنّ أصنامكُم بعد أنْ تُولّوا مُدبِرينَ"(٣). وقد تعالق الشـــاعر فـــي نصـــه المنتج مع أكثر من آية تنسجم مع هدفه وبيتها تقاطع واحد يشير إلى زهده وتورعه، لينال رضى ربه وطاعته" فالنص صيروة وتحويـــل وتجـــاوز، ولا يمكن عدّه مادة لها أبعاد ثابتة، إنه بأبعاده اللفظية تجاوز للواقع، وزعزعـــة للجمود، وفي هذا تكمن حركيته، والنص متقاطع مع سائر النصوص، وقـــد أعيدت صياغتها أثناء بنائه، فهو بناء زخرفي، تتنـــوع مكوناتـــه، وآيـــات القرآن الكريم مصدر من مصادر بنائه بناء يتجاوز الثابت والمألوف، وتصاغ الآية الواحدة صياغات عديدة تتلاءم مع غاية الشاعر"(٤).

يقول الشاعر (٥):

وجـــلال ربِّـــي لـــو تصـــحُّ غزائمـــي لزَهِـــدتُ فيـــكِ ولا بْتَغيـــتُ ســـواكِ

ويقول في مشهد آخر (٦):

فعســـى مَـــنْ لـــه أُعفِـــرُ وجهـــي ســـيرى فـــاقتي إليـــه فَيرحـــمْ

---

(١) الديوان، ص: ٣٤.

(٢) سورة يوسف: ٨٥

(٣) سورة الأنبياء: ٥٧.

(٤) أبو شرار ، إبتسام، التناص الديني والتاريخي في شعر محمود درويش، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، ٢٠٠٧م، ص: ٩٤ .

(٥) الديوان، ص: ٣٤.

(٦) الديوان، ص: ٥١.

فشفيعي إليه : حُسْنُ ظنوني ورجائي لهُ ، وأنّي مُسْلِمْ
ولهُ الحمدُ ان هداني لهذا عددَ القَطْرِ ما الحمامُ تَرَنّمْ
وإليه ضراعتي وابتهالي في معافاةِ شيبتي مِن جَهنّمْ

ويتجلى في قول الشاعر التناص القرآني مع قوله تعالى:" الحَمْدُ للّهِ رَب العَالَمِينَ "(١). وقوله تعالى: " وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ"(٢). إذ جاءت تراكيب الشاعر مشتملة على (الحمد والثناء)، وهما من الأذكار، التي ينبغي للمسلم أن يتعاهدهما في السراء، وحين البأس، وقد واءم الشاعر بين النص القرآني، والمعنى المراد إيصاله للمتلقي. وهذا المقال ينسجم وقول العلماء: وإن الحمد واجب ليس عند حلول النعمة، وزوال النقمة، بل في كل حال، ويؤكد ذلك قول ابن تيمية:" الْحَمْدُ يَتَضَمَّنُ الْمَدْحَ وَالثَّنَاءَ عَلَى الْمَحْمُودِ بِذِكْرِ مَحَاسِنِهِ، سَوَاءٌ كَانَ الْإِحْسَانُ إِلَى الْحَامِدِ أَوْ لَمْ يَكُنْ. وَالشُّكْرُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى إِحْسَانِ الْمَشْكُورِ إِلَى الشَّاكِرِ. فَمِنْ هَذَا الْوَجْهِ الْحَمْدُ أَعَمُّ مِنَ الشُّكْرِ"(٣).

ويقول الشاعر في مشهد آخر (٤):

كم آمنٍ للمَنُون لاهٍ عن الرّدى باتَ مُطمئِنّا
صبحهُ وافِدُ المنايا مغابنَ الموتَ حين عنّا
حتى إذا ما قضى بكاهُ حَميمهُ مُعْولاً مُرنّا

(١) سورة الفاتحة، الآية:١.
(٢) سورة فاطر، الآية: ٣٤
(٣) الحكمي، حافظ بن أحمد، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط١، ١٩٩٠م، ٧١/١.
(٤) الديوان، ص:١٢٠.

وارَوه في لَحـــــــدِه وســـــــنُّوا عليـــه قيـــدَ التُّـــرابِ ســـنّا
وانتهبـــوا مالـــه وشـــنّوا الغـــارا تِ فيمـــــا حـــــواهُ شـــــنّا
لمثـــــل هـــــذا فكُـــــن مُعِـــــدّا مـــا قـــد أعـــدّ الهـــداةُ مَنّـــا
وارتقـــبِ المـــوتَ فهـــو حـــتمٌ يخـــترمُ الطفـــلَ والمُسِـــنّا

فالشاعر يستنير بقبس من الذكر الحكيم ممتصا ومحورا البنية القرآنية بما يتماشى مع رؤيته الشعوريّة، فالتحكم بلغة الشعر بكل ما تتضمنه من مثيرات لو دليل على قدرة الشاعر على الإبداع في تشكيل بناء متكامل. والقرآن جانبا من هذا التشكيل كما هو في هذه الأبيات.

في مشهد آخر (١):

قـــالوا ألا تســـتجدُّ بيتًـــا تعجـــبُ مِـــن حُســـنهِ البيـــوتْ
فقلـــتُ مـــا ذلِكُـــم صـــوابٌ خَفـــشٌ كـــثيرٌ لَـــنْ يمـــوتْ
لـــولا شـــتاءٌ ولحُ قـــيظٍ وخـــوفُ لـــص وحفـــظُ قـــوتْ
ونســـوةٌ يبـــتغينَ ســـترًا بَنَيْـــتُ بُنيـــانَ عنكبـــوتْ
وايُّ معنـــى لِحُســـنِ مغنـــى لـــيس لأربابـــهِ ثُبـــوتْ
مـــا أوعـــظَ القـــبرَ لـــو قَبِلْنَـــا موعظـــةَ النـــاطق الصّـــمُوتْ

فقال تعالى:" وإنّ أوْهنَ البُيوتِ لبيتُ العنكبوتِ "(٢).

ويقول في مشهد آخر(٣):

وإنَّ الـــذنوبَ بتوبـــةٍ تمحـــى كمـــا يَمحـــو سـجودُ السَّـهوِ غفلـة مَـنْ سـها

(١) الديوان، ص:٦٢.
(٢) سورة العنكبوت: ٤١.
(٣) الديوان، ص: ٤٩.

من لا يخاف ربه ويرقبه في السر والعلانيّة، فقد خسر وخاب وضل عمله وسعيه، يقول (١):

مَنْ لا يُراقِبُ ربّهُ ويخافُهُ تبّت يَداهُ لَهُ مِنْ والِ

وبهذا المعنى يشير إلى قوله تعالى:" تبّت يدا أبي لهب وتبّ ما أغنى عنهُ مالُهُ وما كَسَبَ "(٢).

ويجلي التناص في شعر أبي إسحاق الألبيري مع التراكيب القرآنيّة، وآليات هذا التعالق، وصوره، وكيفية التداخل النصي، الذي يكشف عن شبكة من العلاقات المتداخلة، والمتلاحمة، بصورة مباشرة كالاقتباس، أو بصور غير مباشرة، كالتحوير الذي يجريه الشاعر في بنية التركيب القرآني؛ سواء أكان ذلك امتصاصًا أم حوارًا أم استمدادًا أم تمازجًا. وهو من جانب آخر يكشف عن تجليات نصوص الشاعر، وتفاعلها مع النص القرآني، تفاعلاً خلاقًا مستندًا إلى التذويب، والامتصاص لا مجرد النقل، والاقتباس، فحسب، وهذا دليل على سعة ذرعه، وتدفق طبعه؛ وغزارة بيانه، ورقة حاشية لسانه.

ويلحظ الباحث أن نصوص أبو إسحاق الألبيري جاءت زاخرة بكثير من الإشارات التي تتقاطع مع النصوص القرآنية، غير أن اللافت للأمر أن المبدع كان يوظفها بصورة تتفق مع دلالة نصه، ويخرج بها عن الدلالة التي حملها النص القرآني، فتتماهى نصوص القرآن الكريم في شعر أبي إسحاق الألبيري بصورة يدق إدراكها، وهذا دليل على عبقرية هذا المبدع، ومقدرته الفنية الخلاقة.

---

(١) الديوان، ص: ٢١.
(٢) سورة المسد: ١ ــ ٢.

خاتمة:

تبين من خلال هذه الدراسة أن الشاعرَ أبو إسحاق الإلبيري ثقافته ثقافة دينية واسعة، استطاع أن يوظفها في شعره، وأن يعطي لهذا التوظيف بعدًا جماليًا متميزًا، وكأنه يريد أن يجعل شعره يتعالى ليقترب من النص القرآني.

فمن الواضح الشاعر تناص مع الآيات القرآنيّة السابقة، واستطاع بهذا التناص أن يكثف المعنى الذي يريده، بعد شعوره بأن النص دون تضمين أو استحضار لا يكفي لتعميق دلالته التي يريدها. كما يدرك المتلقي أن توظيف التناص القرآني قد جاء متساوقاً مع تجربة الشاعر الخاصة، إذ يكثف الدلالات، التي رمى إليها إبي إسحاق الإلبيري في نصوصه، سواء كانت هذه النصوص مدحًا، أو رثاء أو زهدا، أو غير ذلك من الأغراض، التي تناولها في شعره.

وقد عمق هذا التناص الرؤية الدينية عند الشاعر، وجعلها أكثر اتساعًا، مستفيدًا من النص القرآني على مختلف مستوياته الدلاليّة.

وتخلص هذه الدراسة إلى أن الشاعر استثمر الآيات القرآنية، وأشار إلى كثير من المعاني والدلالات القرآنية الواردة في كتاب الله. وقد سمحت تناصاته مع الموروث الديني: بتكوين نصوص جديدة من نصوص القرآن الكريم بكل مستوياتها الدلاليّة.

ويتجلى للباحث أن الشاعر لم يقف عند حد الاقتباس، والنقل الحرفي من النص القرآني، بل استطاع أن يمتص الألفاظ، والتراكيب، والأساليب، فيعيد إنتاجية نصه بصورة جديدة تتفق مع رؤيته الشعريّة.

المصادر والمراجع:

- الألبيري، أبي إسحاق، **الديوان**، تحقيق: محمد رضوان الداية، مطبعة الرسالة، بيروت، ١٩٧٦م.
- كرستيفا، جوليا، **علم النص**، ترجمة: فريد الزاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر والتوزيع، المغرب، ط١، ١٩٩١م.
- حسنين، نبيل، **التناص، دراسة تطبيقية في شعر شعراء النقائض**، دار كنوز المعرفة العلمية، عمان- الأردن، ط١، ٢٠١٠م.
- حلبي، أحمد طعمة، **أشكال التناص الشعري، شعر البياتي أنموذجًا**، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، ع٤٣٠، شباط، ٢٠٠٧م.
- حسين، يسرى خلف، **التناص في شعر حميد سعيد**، دار دجلة، عمان- الأردن، د.ط، ٢٠١١م.
- البياتي، بدران، **التناص في شعر العصر الأموي**، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، ١٩٩٧م.
- ومراشدة، عبد الباسط، **التناص في الشعر العربي الحديث، دراسة تطبيقية ونظرية**، أطروحة دكتوراه مخطوطة، الجامعة الأدنية، عمان ٢٠٠٠م.
- وناهم، أحمد، **التناص في شعر الرواد**، أطروحة ماجستير مخطوطة، جامعة بغداد، ٢٠٠٤م.
- ووعد الله، ليديا، **التناص في شعر عز الدين المناصرة**، أطروحة ماجستير مخطوطة، جامعة قسنطيّنة، ٢٠٠٤م.

- سليمان، عبد المنعم، **مظاهر التناص الديني في شعر أحمد مطر**، أطروحة ماجستير مخطوطة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٥م.
- سلاّم، سعيد، **التناص التراثي، الرواية الجزائرية أنموذجًا**، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط١، ٢٠١٠م.
- طبانة، بدوي، **السرقات الأدبية:دراسة في ابتكار الأعمال الادبية وتقليدها**، دار الثقافة ،بيروت، ط٣، ١٩٧٤م.
- والأعشير، عبد الله آيت، **حسن الأخذ والتناص بين القديم والحديث، دراسة تطبيقية عن أشكال التفاعلات النصية في رواية شجيرة حناء وقمر**، مجلة عالم الفكر، العدد ٣ ، المجلد ٣١، يناير، ٢٠٠٣م.
- حافظ، صبري، **التناص وإشاريات العمل الأدبي**، مجلة عيون المقالات، المغرب، ع٢، ١٩٨٦م.
- المرتجي، أنور، **سيميائية النص الأدبي**، دار أضوء للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٧م.
- هايمن، ستانلي، **النقد الأدبي ومدارسه الحديثة**، ترجمة: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط١، ١٩٥٨م.
- إبراهيم، محمد إسماعيل، **معجم الألفاظ والأعلام القرآنية**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٩٦٩م.
- عطا، أحمد، **التناص القرآني في شعر جمال الدين بن نباته المصري**، بحث مقدم للمؤتمر الرابع لكلية الألسن، جامعة المنيا، إبريل، ٢٠٠٧م.

- العاني، محمد شهاب، **أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٢م.
- أبو شرار ، إبتسام، **التناص الديني والتاريخي في شعر محمود درويش**، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، ٢٠٠٧م.
- شبانه، ناصر جابر، **التناص القرآني في الشعر العماني الحديث**، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، مجلد٢١ع٤، ٢٠٠٧م.
- حياة، معاش، **التناص القرآني في تائية ابن الخلوف القسنطيني دراسة فنية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة**، جامعة محمد خيضر، بسكرةع٦، ٢٠١٠م.
- المغيض، تركي، **التناص في نماذج من الشعر المغربي**، مجلة أبحاث اليرموك، الأردن، مجلد ٢٠، ع ١، ٢٠٠٢م.
- الحكمي، حافظ بن أحمد، **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط١، ١٩٩٠م.

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــوع	الصفحة
١	**ملخص**	٦٣٣٧
٢	Abstract	٦٣٣٨
٣	**مقدمة**	٦٣٣٩
٤	**مفهوم التناص في النقد**:	٦٣٤١
٥	**أهمية التناص في النص**:	٦٣٤٤
٦	**تجليات التناص القرآني في شعر أبي إسحاق الإلبيري**:	٦٣٥٠
٧	**خاتمة**:	٦٣٦٩
٨	**المصادر والمراجع**:	٦٣٧٠
٩	**فهرس الموضوعات**	٦٣٧٣

تم بحمد الله